المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات المصرفية الإسلامية – دراسة حالة مجموعة البركة المصرفية

د. قاسمي كمال ط/د: سعود وسيلة
جامعة محمد بوضياف المسيلة

الملخص:

أصبح تبني المسؤولية الاجتماعية من قبل المؤسسات ضرورة حتمية للاستمرار في المنافسة، وهذا ما دفع بمجموعة البركة المصرفية، كأول مؤسسة مصرفية إسلامية، إلى الاعتماد على برنامج للمسؤولية الاجته عية، وهذا لاقتناعها التام بتماشي مبادئ المسؤولية الاجتماعية مع المبادئ العامة التي تعمل وفقها المجموعة، والتي تجعل رضى المجتمع والأطراف التي لها علاقة بها من أولوياتها.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية الاجتماعية، البيئة، المجتمع، مجموعة البركة المصرفية.

Résumé :

L'adoption de la responsabilité sociale par les entreprises est devenue une nécessité au sein de la compétition, ce qui a incité le groupe bancaire EL BARAKA, comme la première banque islamique, à mettre et élaborer un programme de responsabilité sociale dont les principes sont compatibles avec les principes généraux du Groupe qui considèrent la satisfaction de la communauté et les parties qui ont intérêts un de ses priorités.

Mots clés : Responsabilité sociale, Environnement, Communauté, Groupe bancaire EL BARAKA

مقدمة :

أدى توسع مجال نشاطات المؤسسات بفعل العولمة وتعاظم دور وضغوط الجمعيات المختلفة سواء المتعلقة بالبيئة او بالمستهلك أو بأطراف أخرى، على هذه المؤسسات ونداءها المستمر بضرورة الحفاظ على البيئة وحماية حقوق مختلف فئات المجتمع اتجاه الممارسات الخاطئة أو غير الأخلاقية. كل هذه العوامل أدت إلى زيادة الاهتمام بمفهوم المسؤولية الاجتماعية وزيادة مستويات تبنيها في المؤسسات الاقتصادية بمختلف أنواعها وأحجامها.

ومن بين المؤسسات العربية الرائدة التي أدركت أهمية المسؤولية الاجتماعية وضرورة الاعتماد عليها كنموذج واضح، نجد مجموعة البركة المصرفية التي وضعت برنامجا متكامل الأبعاد يخص تنمية وتحقيق رفاهية المجتمعات التي تنشط فيها فروعها.

انطلاقا مما سبق، يمكن طرح إشكالية البحث التالية:

"فيما يتمثل برنامج المسؤولية الاجتماعية المعتمد من قبل مجموعة البركة المصرفية؟"

أهمية البحث : تظهر أهمية هذا البحث من خلال الدعوات المتزايدة للمجتمع والجمعيات البيئية وجمعيات المستهلك وغيرها، لتحمل المؤسسات مسؤولياتها الكاملة اتجاه بيئتها ومجتمعها ومختلف الأطراف التي لها علاقة بها، وضرورة احترام هذه المؤسسات لقيم ومبادئ المجموعات البشرية التي تعمل ضمنها.

أهداف البحث : يهدف البحث إلى توضيح وإبراز مختلف الجوانب التي لها علاقة بالمسؤولية الاجتماعية، وفي نفس الوقت عرض إحدى التجارب التي اتخذت من المسؤولية الاجتماعية هدفا أساسيا لابد منه في مسار عملها، واعتبرته جزءا من استراتيجيتها، ويتمثل ذلك في تجربة مجموعة بنك البركة.

حدود البحث : تم إعداد هذا البحث بناء على تحليل تقارير المسؤولية الاجتماعية الصادرة عن مجموعة البركة المصرفية خلال الفترة الزمنية 12(–016 ، والتي تتناول برامج المسؤولية الاجتماعية اله علقة بالمجموعة المصرفية ككل.

خطة البحث : للإجابة على هذا التساؤل تم تقسيم الورقة البحثية إلى مما يلي :

أولا : المسؤولية الاجتماعية – تاريخيا.

ثانيا : المسؤولية الاجتماعية – عمليا.

ثالثا : المسؤولية الاجتماعية لمجموعة البركة المصرفية.

أولا: المسؤولية الاجتماعية- تاريخيا

I- مفهوم المسؤولية الاجتماعية : وردت العديد من التعريفات التي تتعلق بالمسؤولية الاجتماعية، وهذا لعدم الفصل الدقيق بين حدود المسؤولية الاجتماعية لدى المؤسسات، واختلاف الرؤى بين الهيئات والدول والباحثين، بالرغم من أنها تتفق عند حدود معينة . ومن بين التعريفات المقدمة نذكر :

- **تعريف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية** عرفت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة على أنها التزام هذه الأخيرة بالمساهمة في التنمية الاقتصادية، مع الحفاظ على البيئة والعمل مع العمال وعائلاتهم والمجتمع المحلي والمجتمع بشكل عام بهدف تحسين جودة الحياة لجميع هذه الأطراف ".[1]
- **تعريف مجلس الأعمال الدولي للتنمية المستدامة** تعرف هذه الهيئة المسؤولية الاجتماعية على أنها : الالتزام المستمر للمؤسسة بالتصرف على نحو أخلاقي وبالمساهمة في التنمية الاقتصادية وتحسين نوعية الحياة للعاملين وأسرهم والمجتمع ".[2]
- **تعريف جمعية الإداريين الأمريكيين** : تعرف هذه الجمعية المسؤولية الاجتماعية بأنها : استجابة إدارة المؤسسات إلى التغير في توقعات المستهلكين والاهتمام العام بالمجتمع والاستمرار بإنجاز المساهمات الفريدة للأنشطة التجارية الهادفة إلى خلق الثروة الاقتصادية ".[3]

II- دوافع ظهور المسؤولية الاجتماعية : وجدت العديد من العوامل والدوافع التي أدت إلى ظهور وتزايد الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية، ومن بين هذه العوامل نذكر منها ما يلي :[4]

- ✓ **العولمة** : وتعد من أهم القوى الدافعة لتبني المؤسسات لمفهوم المسؤولية الاجتماعية، حيث أضحت العديد من الشركات متعددة الجنسيات ترفع شعار المسؤولية الاجتماعية وأصبحت تركز في حملاتها الترويجية على أنها تهتم بحقوق الإنسان، وأنها تلتزم بتوفير ظروف عمل آمنة للعاملين، وبأنها لا تسمح بتشغيل الأطفال، كما أنها تهتم بقضايا البيئة وحماية المستهلك والحفاظ على الموارد الطبيعية .
- ✓ **تزايد الضغوط الحكومية والشعبية** من خلال التشريعات التي تنادي بضرورة حماية المستهلك والعاملين والبيئة، الأمر الذي قد يكلف المنظمة أموالا طائلة إذا ما رغبت في الالتزام بتلك التشريعات، وبخلاف ذلك قد تتعرض للمقاطعة والخروج من السوق بشكل عام.
- ✓ **الكوارث والفضائح الأخلاقية**: تعد الفضائح الأخلاقية والكوارث التي تتعرض لها المؤسسات من أهم دوافع تبني المسؤولية الاجتماعية، حيث أن كثير من المنظمات العالمية تعرضت لقضايا أخلاقية، مما جعلها تتكبد أموالا طائلة كتعويضات للضحايا أو خسائر نتيجة المنتجات المعابة.
- ✓ **التطورات التكنولوجية المتسارعة** : والتي صاحبتها تحديات عديدة أمام منظمات الأعمال فرضت عليها ضرورة الالتزام بتطوير المنتجات، وتطوير مهارات العاملين وضرورة الاهتمام بالتغيرات في أذواق المستهلكين وتنمية مهارات متخذي القرار خاصة في ظل التحول من الاقتصاد الصناعي إلى اقتصاد قائم على المعلومات والمعرفة، وزيادة الاهتمام برأس المال البشري بدرجة أكبر من رأس المال المادي، وبالتالي نجد أنه مع تغير بيئة العمل العالمية، فإن متطلبات النجاح والمنافسة تغيرت أيضا، إذ أصبح لزاما على منظمات الأعمال أن تضاعف جهودها وأن تسعى نحو بناء علاقات إستراتيجية أكثر عمقا مع المستهلكين والعاملين وشركاء العمل ودعاة حماية البيئة والمجتمعات المحلية والمستثمرين حتى تتمكن من المنافسة والبقاء في السوق.

III- تطور مفهوم المسؤولية الاجتماعية : تعتبر المسؤولية الاجتماعية مفهوما قديم الجذور بالرغم من أنه لم يكن واضحا تماما، إلا أن معالمه تطورت رويدا رويدا عبر عدد من المراحل، وفيما يلي أهم المراحل التي مر بها هذا المفهوم :[5]

1. الثورة الصناعية والإدارة العلمية :

تمثل الثورة الصناعية حدثا بارز في تاريخ الإنسانية حيث بدأ استخدام المخترعات العلمية في المؤسسات، وكانت هذه الأخيرة تركز جهودها فقط على تحسين الأداء الاقتصادي من خلال الاهتمام بالبيئة الداخلية لتحقيق الأرباح لإعادة استثمارها دون الاهتمام بالعاملين والمجتمع، ففي هذه الفترة تم استغلال جهود العاملين وتشغيل الأطفال والنساء لساعات طويلة في ظل ظروف عمل قاسية وأجور متدنية هذا من جهة، ومن جهة ثانية لم يكن هناك أي وعي بيئي لأن الثورة الصناعية كانت في بدايتها وأن وفرة المياه والمساحات الشاسعة والخضراء غير المستغلة تم استنزافها بشكل يحقق أعلى العوائد والأرباح، لم تثر انتباه المجتمع إلى خطورة التلوث البيئي.

وأمام هذه الوضعية، نستطيع القول أن إدارات المؤسسات قد وعت جانبا بسيط من المسؤولية الاجتماعية تتجسد في تحسين أجور العاملين لكن مقابل جهد كبير يبذلون لإعطاء إنتاج أكبر، وهو ما يتوافق مع ظروف ومبادئ هذه المرحلة .

2. مرحلة ظهور خطوط الإنتاج و تجارب هورثون :

إن تزايد استغلال العاملين وإصابات العمل الكثيرة، بالإضافة إلى الوفيات الناتجة عن تشغيل الأطفال والنساء، أدى بالمدراء إلى التفكير في تحسين ظروف العمل، وقد تزامن هذ مع ابتكار هنري فورد لخطوط الإنتاج، والذي ترتب عليه إنتاج كميات كبيرة من السيارات ما أدى إلى زيادة الغازات المنبعثة ونسب التلوث في الهواء، كما أن مصانع هورثون حاولت دراسة تأثير الاهتمام بالعاملين والإنتاج، ما أدى إلى تحسين ظروف عملهم، وهذا كان ضمن نطاق نظرية العلاقات

الإنسانية التي ظهرت خلال هذه المرحلة الزمنية، والتي انعكست على البيئة الداخلية للمؤسسة، ومن هنا بدأ الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية في المؤسسات وخاصة ظروف العمل لغرض زيادة الأرباح.

3. مرحلة الكساد الاقتصادي الكبير والنظرية الكينزية :

إن إهمال المؤسسات الصناعية لمسؤوليتها اتجاه بعض الأطراف المتعددة جعلها في تضاد مع مصالح هؤلاء حيث كان هدفها تسويق أكبر كمية من المنتجات دون الأخذ بعين الاعتبار رغبات وميول المستهلكين ومصالحه المتعددة، مما أدى إلى كساد عالمي كبير أفرز انهيار كبير للشركات وبالتالي تسريح آلاف العاملين، وفي هذه الفترة كانت المسؤولية الاجتماعية للشركات في أدنى مستوياتها ما نجد عنه ظهور دعوات مهمة لتدخل الدولة لحماية مصالح العاملين ومع ظهور نظرية كينز التي دعت بوجوب تدخل الدولة بحد معقول لإعادة التوازن الاقتصادي، أدى إلى بناء أرضية لتأصيل أفكار وتحديد عناصر المسؤولية الاجتماعية من خلال تعزيز دور النقابات، وتعالت الأصوات بالمطالبة بتحسين ظروف العمل وسن قوانين جديدة، وتحديد الحد الأدنى للأجور، وإشراك العاملين بالإدارة، وقد ظهر هذا جليا بعد الحرب العالمية الثانية والتوسع الصناعي، وهنا بدأت المسؤولية الاجتماعية تأخذ مكانة هامة في استراتيجية وسياسات المؤسسات .

4. مرحلة المواجهات الواسعة بين الإدارة والنقابات :

تميزت هذه المرحلة بتعاظم قوة النقابات وزيادة تأثيرها في قرارات المؤسسة بشكل عام، وزيادة توعية الناس بالمخاطر البيئية، وتعالت الأصوات تطالب بتحسين نوعية الوقود، كما تميزت هذه الفترة كذلك بزيادة القضايا المرفوعة أمام المحاكم لأسباب تتعلق بجوانب مهمة من الانتهاكات البيئية المختلفة، مما أدى بهذه المنظمات إلى زيادة الاهتمام بالجوانب الاجتماعية، البيئية، وكذا الأخلاقية للعاملين من خلال تبنيها لمفهوم محاسبة المسؤولية الاجتماعية وعملت على تطوير مقاييس الأداء الاجتماعي خاصة بعد الفضائح المالية لعدة من المؤسسات العالمية مثل شركة أنرون وغيرها من الشركات العالمية التي لفتت الانتباه إلى الممارسات الخاطئة لهذه الشركات وتفشي الفساد بها، مما أدى ببعض المؤسسات إلى إدراج الشفافية في إطار المسؤولية الاجتماعية لمحاربة هذه الظاهرة، ومحاربة باقي التصرفات غير الأخلاقية التي قد تواجه المؤسسة والأطراف التي لها علاقة بها .

ثانيا: المسؤولية الاجتماعية- عمليا

I- أهمية المؤسسات الاجتماعية : اختلفت الآراء بين العديد من الباحثين والهيئات حول أهمية المسؤولية الاجتماعية وفوائدها تطبيقها سواء بالنسبة للمؤسسات، الدولة أو المجتمع، ويمكن توضيح هذه الأهمية فيما يلي: [6]

1. **بالنسبة للمؤسسة :** تتمثل أهمية المسؤولية الاجتماعية بالنسبة للمؤسسة في :

- ✓ تحسين صورة المؤسسة في المجتمع وخاصة لدى العملاء والعمال وخاصة إذا اعتبرنا أن المسؤولية تمثل مبادرات طوعية للمؤسسة اتجاه أطراف مباشرة أو غير مباشرة للمؤسسة.
- ✓ تحسين مناخ العمل نتيجة الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية للمؤسسة، كما تؤدي إلى بعث روح التعاون والترابط بين مختلف الأطراف.
- ✓ تمثل المسؤولية الاجتماعية تجاوبا فعالا مع التغيرات الحاصلة في حاجات المجتمع كما أن هناك فوائد أخرى تتمثل في المردود المادي والأداء المتطور من جراء تبني هذه المسؤولية.

2. **بالنسبة للمجتمع :** تتمثل أهمية المسؤولية الاجتماعية بالنسبة للمجتمع في :

- ✓ الاستقرار الاجتماعي نتيجة لتوفر نوع من العدالة وسيادة مبدأ تكافؤ الفرص وهو جوهر المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة، وتحسين نوعية الخدمات المفيدة للمجتمع.
- ✓ ازدياد الوعي بأهمية الاندماج التام بين المؤسسات ومختلف الفئات ذات المصالح، مما ينعكس إيجابا على المجتمع الذي تنشط فيه هذه لمؤسسات، حيث يقدم لها قيمة مضافة.
- ✓ الارتقاء بالتنمية انطلاقا من زيادة تثقيف والوعي الاجتماعي على مستوى الأفراد وهذا يساهم بالاستقرار السياسي والشعور بالعدالة الاجتماعية.

3. **بالنسبة للدولة :** تتمثل أهمية المسؤولية الاجتماعية بالنسبة للدولة في :

- ✓ تخفيض الأعباء التي تتحملها الدولية في سبيل أداء مهامها وخدماتها الصحية والتعليمية والثقافية والاجتماعية الأخرى.
- ✓ يؤدي الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية إلى تعظيم عوائد الدولة بسبب وعي المؤسسات بأهمية المساهمة العادلة والصحيحة في تحمل التكاليف الاجتماعية.
- ✓ المساهمة في التطور التكنولوجي والقضاء على البطالة وغيرها من الآلات التي تجد الدولة الحديثة نفسها غير قادرة على القيام بأعبائها جميعا بعيدا عن تحمل المؤسسات الاقتصادية الخاصة ودورها في هذا الإطار.

II- أبعاد المسؤولية الاجتماعية : تتلخص أبعاد المسؤولية الاجتماعية فيما يلي : [7]

1. **البعد الاقتصادي** : يقر هذا البعد بضرورة الاستناد إلى مبادئ المنافسة الشريفة ضمن الأطر الأخلاقية والتطور التكنولوجي في إطار يبين المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة وبه لا يلحق الضرر لا بالمؤسسة ولا بالمجتمع.
2. **البعد القانوني** : يرتكز هذا البعد على حماية البيئة، والسلامة المهنية والعدالة، وقوانين حماية المستهلك في شكل قوانين يفترض على مؤسسات احترامها بالشكل الذي يسمح بارتقاء المجتمع، وحمايته ومعاقبة كل مؤسسة لا تحترم هذه القوانين .
3. **البعد الأخلاقي** : يستند هذا المبد في تحليله إلى المبادئ الأخلاقية التي تكفلها الأعراف والقيم الاجتماعية من خلال ضرورة حماية البيئة والجوانب الأخلاقية في ا ستهلاك والقضاء على البطالة من خلال فتح مجال للتوظيف وتكافؤ الفرص، واحترام العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، والابتعاد عن الأعمال والتصرفات التي قد تلحق ضررا ب .
4. **البعد الخير** : يرتبط هذا البعد بدرجة كبيرة بنوعية الحيا من خلال ضرورة الارتقاء بهذه الأخ رة، وما يتفرع من ذلك من عناصر ترتبط بالذوق العام والنقل وغير ، بالإضافة إلى تطوع المؤسسات في النشاطات الخيرية التي تخدم الفئات الخاصة في المجتم .

III- **عناصر المسؤولية الاجتماعية** : ترتبط المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات بعدة عناصر تمثل مجموع الأطراف التي لها ع لاقة بالمؤسسة، والتي تكون هذه الأخيرة ملزمة بتحقيق رضاهم، وتتمثل هذه العناصر فيما يلي:

1. **المسؤولية الاجتماعية اتجاه المجتمع المحلي** : يعتبر المجتمع المحلي بالنسبة لمنظمات الأعمال شريحة مهمة إذ تتطلع إلى تجسيد متانة العلاقات معه وتعزيزها، الأمر الذي يتطلب منها مضاعفة نشاطاتها تجاهه من خلال بذل المزيد من الرفاهية العامة، والتي تشمل المساهمة في دعم البنية التحتية، إنشاء الجسور والحدائق، المساهمة في الحد من مشكلة البطالة، ودعم بعض الأنشطة مثل الأندية الترفيهية واحترام العادات والتقاليد، دعم مؤسسات المجتمع الم دني، تقديم العون لذوي الاحتياجات الخاصة من خلال تقديم الدعم المادي لها، بالإضافة إلى الدعم المتواصل للمراكز العلمية كمراكز البحوث والمستشفيات. وعادة ما ينظر إلى مسؤولية المؤسسة تجاه المجتمع المحلي من زوايا مختلفة، فقد تشمل رعاية الأعمال الخيرية، الرياضة و لفن، التعليم وتدريب المؤسسات، وإقامة المشاريع المحلية ذات الطابع التنموي.[8]
2. **المسؤولية الاجتماعية اتجاه الموظفين** : إذا كانت المؤسسات تولي اهتمامها لرأس المال البشري فلابد من تقديم لهم ما هو أفضل، لأن العاملين المهرة على المستوى الوطني والعالمي أصبحوا يركزون على عامل المسؤولية الاجتماعية من بين العوامل الأخرى، وقد أثبت ذلك تجريبيا حيث أن أكثر الناس يحبذون العمل في المؤسسة التي لديها سياسات بيئية ومجتمعية جيدة، كما أثبت بنفس السياق أن الناس يحبذون التعامل تجاريا مع نفس المؤسسات.
3. **المسؤولية الاجتماعية اتجاه الزبائن** تعتبر هذه الشريحة من المجتمع ات أهمية كبيرة لكل المؤسسات بدون استثناء، ومن الأداء الاجتماعي الموجه لهذه الشريحة تقديم منتجات بأسعار ونوعيات مناسبة، والإعلان لهم بكل صدق وأمانة وتقديم منتجات صديقة لهم وأمينة، بالإضافة إلى تقديم إرشادات واضحة بشأن استخدام المنتج، والتزام المؤسسات بمعالـ ة الأضرار التي تحدث بعد البيع وتطوير مستمر للمنتجات.[9]
4. **المسؤولية الاجتماعية اتجاه الموردين** : ينظر إلى العلاقة ما بين الموردين ، منظمات الأعمال على أنها علاقة مصالح متبادلة، لذلك يتوقع الموردون أن تحترم المؤسسات تطلعاتهم ومطالبهم المشروعة التي يمكن تلخيصها بالاستمرار في التوريد وخاصة لبعض أنواع المواد الأولية اللازمة للعمليات الإنتاجية، وأسعار عادلة ومقبولة، بالإضافة إلى تسديد الا زامات، والصدق في التعامل، وتدريب الموردين على مختلف طرق تطوير العمل.[10]
5. **المسؤولية الاجتماعية اتجاه البيئة** : لقد أعيد التركيز في أدبيات المسؤولية الاجتماعية فيما يخص الجوانب البيئية، حيث أن المسؤولية الاجتماعية تضم أنظمة البيئة المفروضة ذاتيا أي ضمن فلسفة المؤسسة والتقارير البيئية للمؤسسة، فأضحى اهتمام المؤسسات بالبيئة ومنع تلوثها وخرابها من أولويات المؤسسة وجزء من المسؤولية الاجتماعية التي تتحملها.
6. **المسؤولية الاجتماعية اتجاه المساهمين** : تعد فئة المساهمين فئة مهمة من أصحاب المصالح المستفيدين من نشاط المؤسسة، وتكمن مسؤولية المؤسسة اتجاههم بتحقيق أقصى ربح، تعظيم قيمة السهم، زيادة حجم المبيعات، بالإضافة إلى حماية أصول المؤسسة وموجوداتها.[1]

ثالثا: المسؤولية الاجتماعية لمجموعة البركة المصرفية

I- التعريف بمجموعة البركة المصرفية [12]

مجموعة البركة المصرفية مرخصة كمصرف جملة إسلامي من مصرف البحرين المركزي، ومدرجة في بورصتي البحرين وناسداك دبي. وتعتبر البركة من رواد العمل المصرفي الإسلا ي على مستوى العالم حيث تقدم خدماتها المصرفية المميزة إلى حوالي مليار شخص في الدول التي تعمل فيها. ومنحت كل من الوكالة الإسلامية الدولية للتصنيف وشركة Dagong العالمية للتصنيف الإئتماني المحدودة تصنيف إئتماني مشترك للمجموعة من الدرجة الاستثمارية +BBB (الطويل المدى) / A3 (القصير المدى) على مستوى التصنيف الدولي، ودرجة +A (h) (الطويل

المدى) / (h) A2 (القصير المدى) على مستوى التصنيف الوطني. كما منحت مؤسسة ستاندرد أند بورز العالمية المجموعة تصنيف إئتماني بدرجة +BB (على المدى الطويل) و B (على المدى القصير).

وتقدم بنوك البركة منتجاتها وخدماتها المصرفية والمالية وفقا لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء في مجالات مصرفية التجزئة، والتجارة، والاستثمار بالإضافة إلى خدمات الخزينة، هذا ويبلغ رأس المال المصرح به للمجموعة 1.5 مليار دولار أمريكي، كما يبلغ مجموع الحقوق نحو 2.1 مليار دولار أمريكي.

وللمجموعة انتشارا جغرافيا واسعا ممثلا في وحدات مصرفية تابعة ومكاتب تمثيل في خمسة عشر دولة، حيث تدير أكثر من 550 فرع في كل من : تركيا، الأردن، مصر، الجزائر، تونس، السودان، البحرين، باكستان، جنوب إفريقيا، لبنان، سوريا، العراق والمملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى مكتبي تمثيل في كل من إندونيسيا وليبيا.

II- نظرة مجموعة البركة المصرفية للمسؤولية الاجتماعية

تبنت مجموعة البركة المصرفية برنامجا خاصا للمسؤولية الاجتماعية وأقامت لجنة خاصة بالمسؤولية الإجتماعية تابعة لمجلس إدارتها، وقد ظهر ذلك من خلال توافق مبادئ المسؤولية الاجتماعية مع أحكام الشريعة الإسلامية والأخلاق الإسلامية التي تعمل المجموعة وفقا لمبادئها. وهو ما تم توضيحه في رؤية المجموعة حول المسؤولية الاجتماعية والذي ورد فيه ما يلي : [13]

كأعضاء في مجموعة مصرفية تم تأسيسها على قاعدة من المبادئ والقيم الإسلامية، فإننا في البركة نعتقد بأن علينا مسئوليات خاصة تجاه المجتمع من خلال رعاية ودعم المشاريع التعليمية والاجتماعية، وتحسين الظروف المعيشية ونوعية الحياة للمحتاجين في المجتمعات المحلية التي نعد جزءاً منها . ومن خلال الوفاء بالتزامنا تجاه المجتمع، فإننا نبذل قصارى جهدنا في تطبيق أحد أهم الأركان الفلسفية للعمل المصرفي الإسلامي وهو مفهوم إعمار الأرض " الذي يعني إضافة قيمة ملموسة على الأصول .

كما أن فلسفتنا في جوهرها تتمثل في حقيقة أن الله سبحانه وتعالى هو من ورث الأرض للبشرية في هذا العالم، وبالتالي فإن البشرية ليست مالكة للثروة وإنما عهدت إليها . ولكون هدف البشرية هو البناء والتجميل والتشييد في هذا العالم، لذلك فإنه مقدر علينا أن نساعد في خلق وظائف للآخرين، وبالتالي فإن الثروة التي ننعم بها هي ملك الله سبحانه وتعالى، ولذلك يتوجب علينا تطبيق قواعد الشريعة، فيما يخص تملك الثروة، وتبادلها وتنميتها وإنفاقها.

ويرتبط هذا المفهوم مباشرة بتطور المجتمع وتقدمه الاجتماعي والاقتصادي ونحن نسعى لتطبيق من خلال وساطة استثمارية نشطة تمثل تكملة لعمليات إنتاجية حقيقية ذات قيمة مضافة ومن خلال تبادل السلع والخدمات، وهو ما يمكننا من تقديم بدائل عملية عن أولئك الوسطاء الماليين الذين لا يقدمون أي منفعة للمجتمع بشكل عام".

من هنا تظهر الأهمية الكبيرة التي توليها مجموعة البركة للمسؤولية الاجتماعية اتجاه مجتمعها والأطراف التي لها علاقة بها، ما ينعكس على المبادئ التي تتبناها المجموعة في عملها والتي تتمثل فيما يلي : [14]

1. لا يجوز الاستثمار إلا في القطاعات والصناعات التي تتوافق مع المعايير الأخلاقية حيث أن القيم الأخلاقية للإسلام تملي على المسلمين وجوب الاستثمار فقط في إنتاج السلع المفيدة والمتاجرة فيها . وبالتالي فإن هذه القيم تحرم الاستثمار في الأنشطة التي تساهم مثلا في إنتاج المشروبات الكحولية أو التبغ والسجائر أو الأسلحة، أو ما يرتبط بأي شكل من الأشكال بالقمار أو الإباحية أو استغلال الأطفال والنساء والأقليات، وكافة الممارسات الأخرى المشكوك فيها .
2. تتجنب جميع البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية دفع الفوائد الربوية في علاقاتها مع المودعين والعملاء من الأفراد والشركات حيث يحرم الإسلام دفع أو أخذ الفوائد الربوية . وبدلا من ذلك تقوم الوحدات المصرفية التابعة لمجموعة البركة المصرفية بقبول الودائع على أساس الاستثمار ، وبموجب ذلك شارك المودعون البنك في النتائج الفعلية التي تحققها استثماراته . أما التمويل، فإنه يقدم للشركات التجارية بشكل رئيسي على أساس بيع التقسيط أو الإجارة أو المشاركة في رأس المال، وبهذه الطريقة تقوم بنوكنا والمودعون بالاشتراك في المخاطر المالية مع العملاء المستدين من التمويل ويشارك الجميع في جني أرباح الاستثمار .
3. يجب أن تتوافق جميع العقود التي تدخل فيها الوحدات المصرفية التابعة لمجموعة البركة المصرفية وكذلك علاقاتها مع عملائها والمودعين مع المعايير الأخلاقية للشريعة الإسلامية .

III- التعريف ببرنامج مجموعة البركة المصرفية للمسؤولية الاجتماعية

قامت مجموعة البركة المصرفية بإنشاء "برنامج البركة للمسؤولية الاجتماعية"، وهو الأول من نوعه الذي تطرحه مؤسسة مصرفية ومالية إسلامية. ويشتمل على العديد من المجالات. وتتمثل الخصائص المميزة للبرنامج في : [15]

- ✓ تقييم الأثر الاجتماعي لأعمال مجموعة لبركة على المستويات المحلية والعالمية.
- ✓ الاستثمار في الشركات والمؤسسات التي تتصف بالمسؤولية الاجتماعية والعمل على دعمها.
- ✓ الإشراف ومتابعة التطور برنامج البركة للتمويل الأصغر والاحتواء المالي .
- ✓ دعم الاقتصادات المحلية .
- ✓ دعم المؤسسات الأكاديمية ومراكز التميز .
- ✓ تشجيع الفنون والآداب الإسلامية الكلاسيكية .
- ✓ تشجيع الأعمال العلمية المتعلقة بالعمل المصرفي والتمويل الإسلامي .

- ✓ الاستثمار في الموارد البشرية .
- ✓ رعاية وتشجيع الكفاءات والمواهب المحلية .
- ✓ تشجيع برامج حماية البيئة من خلال تبني استراتيجيات مختلفة للحفاظ على البيئة، مثل الحد من استخدام الورق، وترشيد استهلاك الطاقة والمياه.

ويعتمد برنامج البركة للمسؤولية الاجتماعية على أربع ركائز أساسية، تتمثل فيما يلي : [16]

1. **برنامج البركة للعمل الخيري** يهدف هذا البرنامج إلى دعم بناء مجتمعات قوية ومستدامة، وقد بلغ إجمالي التمويل والمساهمة في برنامج البركة للعمل الخيري في حدود 5955 ألف دولار أمريكي سنة 2012 و14114 ألف دولار أمريكي سنة 2013 و14620 ألف دولار أمريكي سنة 2014 و13753 ألف دولار أمريكي سنة 2015 . ويعمل البرنامج على توفير :

- ✓ **تعليم راق للجميع** حيث تتركز رؤية المجموعة في توفير مستويات عالية من التعليم الراقي عالي الجودة لجميع الأطفال في المجتمعات التي تعمل بها، وتحرص على تمويل المؤسسات التعليمية الجديدة، ودعم المبادرات التي تساعد على تعزيز البنية التحتية للمؤسسات التعليمية القائمة . كما تقدم برامج البركة للمنح الدراسية والذي يساعد الطلاب الموهوبين المحتاجين.
- ✓ **حق الحصول على سكن ورعاية صحية لائقة** : تقود مجموعة البركة بتمويل المشاريع التي تضيف قيمة عالية للمجتمعات التي تعمل فيها، وتوفر المشاريع التي تقوم بتمويلها وحدات سكنية مناسبة التكاليف، وخدمات رعاية صحية عالية الجودة، وغيرها من الخدمات التي من شأنها تحسين جودة الحياة لأفراد المجتمعات التي تعمل فيها.
- ✓ **حماية التراث العريق** : تفخر مجموعة البركة بالتراث العريق، وتسعى جاهدة إلى تشجيع كافة الجهود الرامية إلى الحفاظ على هذا التراث ودعم الفنون والثقافة والآداب، وباعتبارها مجموعة مصرفية إسلامية رائدة، فهي تلتزم أيضا بدعم التطور المستمر في صناعة الخدمات المصرفية الإسلامية، وذلك من خلال تمويل الأنشطة العلمية المتعلقة بالأحكام الإسلامية والتمويل والخدمات المصرفية.
- ✓ **تشجيع الشباب الواعد** تحرص المجموعة على تقدير جهود الشباب وصقل مهاراتهم وتعزيز قوتهم، الأمر الذي يدفع إلى إتاحة فرص حقيقية للشباب تتيح لهم المساهمة الفعالة والإيجابية في مجتمعاتهم . كما أن المجموعة تقدم الدعم المتواصل للبرامج الرياضية الموجهة للشباب والتي تشجعهم على تبني حياة صحية نشطة.
- ✓ **حماية كوكب الأرض** تكرس المجموعة جهودها لحماية الموارد الطبيعية والحفاظ على كوكب الأرض للأجيال القادمة وتحرص على غرس ثقافة الاستدامة البيئية في جميع أنشطتها بما يساعد على خفض الانبعاثات الكربونية . كما تتعاون مع الخبراء في الطاقة المستدامة لاكتشاف الحلول المبتكرة التي تحمي الموارد الطبيعية.
- ✓ **مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة** : تبذل المجموعة قصارى جهدها لمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة من أفراد المجتمع، من خلال دعم المؤسسات وتشجيع المبادرات التي توفر الحماية والرعاية لأعضاء المجتمع من ذوي الاحتياجات الخاصة ويسعى برنامج البركة للعمل الخيري إلى اكتشاف جوانب القوة في كل فرد من أفراد المجتمع، وذلك من خلال العديد من الأنشطة ذات الصلة والتي تشتمل على الفصول الدراسية الخاصة للأطفال الذين يعانون من صعوبات في التعلم وصولا إلى تقديم أنشطة تفاعلية للمحتاجين.

2. **برنامج البركة للفرص الاقتصادية والاستثمارات الاجتماعية** :

تم إعداد برنامج البركة للفرص الاقتصادية والاستثمارات الاجتماعية لمساعدة المجموعة على الوصول إلى المجتمعات التي تعمل فيها وترك بصمة واضحة في حياة أفرادها، ويشتمل هذا البرنامج على قطاعات فردية للتنمية المجتمعية، والمشاريع الصغيرة والمتوسطة ومتناهية الصغر والصناعة المحلية .

وقد خصص له سنة 2012 مبلغ 925428 ألف دولار أمريكي، وقد تم تخصيص 1623788 ألف دولار أمريكي و1649245 ألف دولار أمريكي سنتي 2013 و2014 على التوالي، وبلغ سنة 2015 قيمة 2023904 ألف دولار أمريكي .

ومن خلال هذا البرنامج تقوم المجموعة بتمويل الأعمال التي تسعى إلى ترك أثر اجتماعي جيد ومواجهة التحديات في المجتمع . ويهدف إلى :

- ✓ **تنمية المجتمع** : تركز المجموعة في استثماراتها الاجتماعية في مجال تنمية المجتمع على الاستثمار في مشاريع تساعد على الارتقاء بحياة المجتمع وخدمة أفراده، وتحرص على تمويل والاستثمار في المشاريع التي تدعم بناء وحدات سكنية مناسبة التكاليف وتوفر خدمات صحية لأفراد المجتمع فضلا عن الأنشطة ذات الصلة والتي تسعى إلى تحسين ظروف الحياة في المجتمعات التي تعمل بها.
- ✓ **المشاريع متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة** : تعد المشاريع متناهية الصغر والمشاريع الصغيرة والمتوسطة محفزا رئيسيا للتنمية الاقتصادية المستدامة ولكن مثل هذه المشاريع تواجه العديد من التحديات، ومن خلال تمكين هذه المشاريع من الحصول على التمويل اللازم باستخدام نماذج التمويل المختلفة مثل المضاربة والمشاركة

والمرابحة والسلم والإجارة، فإن المجموعة تعمل على دعم تلك المشاريع والمؤسسات في المجالات الرئيسية، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر القطاعات الزراعية والتصنيع والبناء.

- ✓ **الصناعات المحلية** تكرس المجموعة جهودها لدعم الاقتصادات المحلية وتعزيز نمو الصناعات، بما يحقق التنمية المستدامة. حيث تقدم المجموعة تمويلا للمشاريع التي تترك أثرا إيجابيا على المجتمع باستخدام وسائل المضاربة والمشاركة والمرابحة والسلم والإجارة في المجالات الرئيسية مثل الزراعة والتصنيع والبناء.

3. برنامج البركة للقرض الحسن:

توفر المجموعة قروضا حسنة (بدون فائدة) للقطاعات الضعيفة اقتصاديا، علاوة على صغار المنتجين والمزارعين وأصحاب المشاريع الذين لا يستطيعون الحصول على تمويل من مصادر أخرى، ويتم سداد القرض الحسن بقيمة نفس المبلغ الذي تم اقتراضه ويمكن استخدامه في تحقيق الرفاهية الاجتماعية أو لتمويل المشاريع على المدى القصير. ويعد القرض الحسن عنصرا أساسيا من برنامج البركة للمسؤولية الاجتماعية.

وقد تم تمويل هذا البرنامج بمبلغ 8694 ألف دولار أمريكي سنة 2012، ثم بلغت مساهماته 9132 ألف دولار أمريكي و10984 ألف دولار أمريكي سنتي 2013 و2014 على التوالي، لتبلغ سنة 2015 قيمة 35598 ألف دولار أمريكي.

4. برنامج البركة للالتزام الزمني

تعد المسؤولية الاجتماعية جزء من الثقافة المؤسسية لمجموعة البركة، ولتعزيز هذه القيمة المشتركة يخصص كل بنك من البنوك ال 12 التابعة للمجموعة عددا معينا من الساعات كل عام لكل موظف ساهم في برنامج المسؤولية الاجتماعية. وبدءا من المشاركة في الأنشطة الخدمية في المجتمع وصولا إلى الإسهام المالي أو النوعي للمبادرات التي تضيف قيمة إلى المجتمع، فإن مجموعة البركة المصرفية تحرص على تعزيز التواصل مع مجتمعاتها.

وقد بلغت ساعات الالتزام الزمني سنة 2012، 1217 ساعة، وبلغت سنة 2013، 1940 ساعة، و2794 ساعة سنة 2014، لتصل سنة 2015 إلى 2894 ساعة.

7 – أهداف مجموعة البركة المصرفية في مجال المسؤولية الاجتماعية 2016-2020

لا تعد المسؤولية الاجتماعية برنامجا فرعيا بالنسبة لمجموعة البركة المصرفية، بل إنها تشكل جزء لا يتجزأ من فلسفة المجموعة ورؤيتها الطموحة، حيث يتركز جوهر أعمالها على المساهمة الفعالة في تحقيق رفاهية المجتمعات التي تعمل فيها. فخلق تأثير إيجابي مستدام يعد هدفا استراتيجيا للمجموعة، لذا فهي تقيس حجم نجاحها بإسهاماتها الاقتصادية والاجتماعية الحقيقية التي تضيفها إلى المجتمع، لإيمانها بأن العمل الجيد يعني تحقيق الرفاهية للجميع.

وتتعامل المجموعة مع جميع أنشطتها ليس فقط بهدف تلبية احتياجات مجموعتها ومساهميها وموظفيها وعملائها، بل أيضا برؤية مشتركة تسعى إلى تحقيق النمو والتنمية الاجتماعيا على المدى البعيد، ويتحقق ذلك من خلال دعم المشاريع التعليمية والاجتماعية، والأهم من ذلك من خلال الاستثمارات في مشاريع تساهم في تعزيز الاقتصاد الحقيقي.

وانطلاقا من ذلك سطرت مجموعة البركة المصرفية أهداف تخص المسؤولية الاجتماعية للفترة 2016 –2020، ويمكن إجمال أهمها فيما يلي: [17]

- ✓ خلق 50 ألف فرصة عمل حيث تسعى المجموعة إلى خلق 50 ألف فرصة عمل في المجتمعات التي تعمل بها، وذلك من خلال تمويل مشاريع جديدة ودعم المشاريع القائمة للعملاء.
- ✓ التمكين من خلال التعليم: تلتزم مجموعة البركة بتحسين الطرق التي تسفر عن تحقيق مستويات عالية الجودة من التعليم، مع تقديم إسهامات مالية سخية للمؤسسات التعليمية العامة والخاصة في المجتمعات التي تعمل بها. وقد خصص له مبلغ 191 مليون دولار أمريكي.
- ✓ تحسين الرعاية الصحية: تؤمن المجموعة أن توفير الرعاية الصحية عالية الجودة أحد الحقوق الأساسية للإنسان، وتحرص على تقديم الدعم المالي لمزودي خدمات الرعاية الصحية، بما في ذلك المستشفيات المتخصصة مثل مستشفيات السرطان والسكري والأطفال وخصص له مبلغ 434 مليون دولار أمريكي.
- ✓ تقديم حلول اجتماعية مبتكرة سوف تتضافر جهود مجموعة البركة مع العملاء الذين يشتركون معها في رؤيتها الطموحة لمسؤوليتها الاجتماعية، مع تفضيل التعاون مع العملاء القادرين على إضافة المزيد من فرص العمل، وخلق فرص اقتصادية، وإنجاز أعمالهم بما يعزز الأهداف العالمية. وتواصل المجموعة تطوير أهدافها كل عام ومتابعة مدى التقدم الذي حققته بشكل دوري. وقد خصص لهذه المبادرات مبلغ 10 مليون دولار أمريكي.

وتماشيا مع الأهداف العالمية للتنمية المستدامة التي أعلنت عنها الأمم المتحدة في سبتمبر 2015، والتي تخص مختلف جوانب الحياة والمجتمع والتنمية المستدامة، حرصت مجموعة البركة المصرفية على المساهمة بدور فعال في هذه الجهود وقبول التحدي، وذلك من خلال إعداد أهداف تتسم بنفس الدرجة من الطموح في صورة أهداف البركة، مع وضع الأولويات الواقعية القابلة للقياس والتي ترتبط مباشرة بتحقيق عدد من هذ الأهداف العالمية. وقد تركزت أولوياته على إتباع الأهداف العامة، والتي تمثلت في: [18]

- ✓ القضاء على الفقر .
- ✓ الصحة الجيدة والرفا .
- ✓ التعليم الجيد
- ✓ المساواة بين الجنسين
- ✓ طاقة نظيفة وبأسعار معقول .
- ✓ العمل اللائق ونمو الاقتصا .
- ✓ الصناعة والابتكار والهياكل الأساسي .

خاتمة

أصبحت المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات من المفاهيم المتداولة كثيرا في الآونة الأخيرة، وهي تعبر عن الأعمال والنشاطات التي تقوم بها المؤسسة مع الأخذ بعين الاعتبار خدمة وتنمية لمجتمع الذي تنشط فيه بمختلف فئاته، فتساهم في التعليم والصحة والإسكان ومختلف النشاطات الإنسانية والاجتماعية. وقد زاد الاهتمام بهذا المفهوم وتطبيقاته مع زيادة الوعي لدى هذه المؤسسات بضرورة احترام قيم وعادات وتقاليد المجتمع الذي تعمل فيه من جهة، ومن جهة أخرى الضغوط التي واجهتها هذه المؤسسات بفعل العولمة، والفضائح والمشاكل الأخلاقية التي عرفتها عدد من المؤسسات الكبرى.

تعد مجموعة البركة المصرفية من بين أولى المؤسسات المالية الإسلامية التي اعتمدت على برنامج للمسؤولية الاجتماعية، حيث اعتبرت المجموعة أن ركائز المسؤولية الاجتماعية هي مبادئ بديهية تتوافق مع المبادئ العامة التي تعمل وفقها المجموعة والتي تتخذ من الشريعة الإسلامية مرجعا أساسيا.

وقد زادت المبالغ المخصصة لتمويل برنامج المسؤولية الاجتماعية والتي تضم كل من القرض الحسن والعمل الخيري وبرنامج الفرص الاقتصادية، منذ سنة 2012 إلى غاية 2015 في كل فروع البنك المنتشرة عبر 15 بلدا. وقد وضعت أيضا مجموعة من الأهداف التي تتماشى مع أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة خلال الفترة 16 –2020 والتي تعمل على تطوير وتنمية المجتمع الذي تنشط فيه مختلف فروع البنك، بالإضافة إلى تـ قيق النمو والرفاهية لمختلف فئاته.

الهوامش

[1] Marie-françoise Guyonnaud, Frédériqie Willard, **"Du management environnemental au développement durable des entreprises"**, ADEME, France, Mars 2004, p 05.

[2] Michel Capron, Françoise Quairel-Lanoizelée, **"La responsabilité d'entreprise"**, éditions la découverte, Paris, 2007, p 23.

[3] محمد الصرفي، **"المسؤولية الاجتماعية للإدارة"**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007، ص 17.

[4] فؤاد حسين محمد الحمدي، "**الأبعاد التسويقية للمسؤولية الاجتماعية للمنظمات وانعكاساتها على رضا المستهلك**"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2003، ص ص 35، 36.

[5] طاهر محسن الغالبي، صالح مهدي العامري، "**المسؤولية الاجتماعية وأخلاقيات الأعمال (الأعمال والمجتمع)**، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص 50.

[6] محمد زرقون، جميلة العمري، "**دور المسؤولية الاجتماعية في تفعيل حوكمة المؤسسات**"، مداخلة مقدمة للمؤتمر الثالث للعلوم المالية والمصرفية حول "حاكمية الشركات والمسؤولية الاجتماعية، تجربة الأسواق الناشئة"، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة اليرموك، الأردن، 18/17 أفريل 2013، ص ص 91، 92.

[7] مولاي لخضر عبد الرزاق، شنيني حسين، **أثر تبني المسؤولية الاجتماعية على الأداء المالي للشركات**"، مداخلة مقدمة للملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة ورقلة، 23/22 نوفمبر 2011، ص 10.

[8] محمد فلاق، "**المسؤولية الاجتماعية للشركات النفطية العربية– شركتي "سوناطراك الجزائرية، أرامكو السعودية" نموذجا**"، مجلة الباحث، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية بجامعة ورقلة، العدد 12، 2013، ص 32.

[9] بدوي محمد عباس، "**المحاسبة عن التأثيرات البيئية والمسؤولية الاجتماعية للمشروع**"، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، 2000، ص 95.

[10] طاهر محسن الغالبي، صالح مهدي العامري، مرجع سبق ذكره، ص 81.

[11] سويدان نظام، وحداد شفيق، "**التسويق مفاهيم معاصرة**"، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص 97.

[12] الموقع الرسمي لمجموعة البركة المصرفية، "**نبذة عن المجموعة**"، http://www.albaraka.com/ar/default.asp?action=category&id=16، 2016/06/28 على الساعة 11.20.

[13] "**تقرير البركة لبرنامج المسؤولية الاجتماعية 2012**"، ص 06، حمل يوم 2016/06/25 على الساعة 10.07، من : http://www.albaraka.com/ar/default.asp?action=category&id=5.

[14] "**تقرير البركة لبرنامج المسؤولية الاجتماعية 2013-2014**"، ص 04، حمل يوم 2016/06/25 على الساعة 10.10، من : http://www.albaraka.com/ar/default.asp?action=category&id=5.

[15] "**تقرير البركة لبرنامج المسؤولية الاجتماعية 2015**"، ص 05، حمل يوم 2016/06/25 على الساعة 10.08، من : http://www.albaraka.com/ar/default.asp?action=category&id=5.

[16] "**تقرير البركة حول أهداف المجموعة في مجال المسؤولية الاجتماعية خلال الفترة 2016-2020**"، ص ص 20-22، حمل يوم 2016/06/25 على الساعة 10.11، من : http://www.albaraka.com/ar/default.asp?action=category&id=5.

[17] "**تقرير البركة حول أهداف المجموعة في مجال المسؤولية الاجتماعية خلال الفترة 2016-2020**"، مرجع سبق ذكره، ص ص 06، 09، 10، 13.بتصرف.

[18] نفس المرجع، ص 15.